الجهود العلمية والفكرية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني في خدمة المذهب المالكي

Scientific and intellectual efforts of Abu Jaafar Ahmed bin Nasr Al - Daoudi altalamusani in the service of Maliki 's doctrine

الباحث عبد الرحمن روان
جامعة العقيد أحمد دراية-أدرار-الجزائر
البريد الإلكتروني: abdalrahmane142@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع **الجهود العلمية والفكرية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني في خدمة المذهب المالكي**، وقد جاءت إشكالية البحث كالآتي: ماهي أبرز الجهود العلمية والفكرية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني وكيف ساهمت هذه الجهود في خدمة المذهب المالكي؟

وقد تطرق البحث إلى ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول** : الإمام الداودي عصره وحياته العلمية
- **المطلب الثاني**: تأثر العلماء والمحققين القدامى بجهوده
- **المطلب الثالث**: جهود الإمام الداودي في خدمة المذهب المالكي

وقد توصلت الدراسة إلى عامة وهي:

أن للإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي جهود كبيرة في خدمة المذهب المالكي، وكان سبب في نشر المذهب المالكي في شمال افريقيا.

الكلمات المفتاحية: الداودي، المذهب المالكي، مؤلفاته، جهوده

Absract:

This research deals with the scientific and intellectual efforts of Abu Jaafar Ahmed bin Nasr Al-Daoudi Tlemceni in the service of the Maliki school. The problem of research came as follows: What is the most important scientific and intellectual efforts of

Abu Jaafar Ahmed bin Nasr Al-Daoudi Talmassani and how these efforts contributed to the service of Maliki?
The research dealt with three demands:
- First requirement: Imam Daoudi era and scientific life
- The second requirement: the scientists and the old investigators were affected by his efforts
- The third requirement: the efforts of Imam Daoudi in the service of the Maliki doctrine
The study reached a general conclusion:
That the Imam Abu Jaafar Ahmed bin Nasr Daoudi great efforts in the service of Maliki's doctrine, and was the cause of the spread of Maliki's doctrine in North Africa
Keywords: Daoudi, Maliki doctrine, his writings, his efforts.

المقدمة:

الحمد لله الذي شرح صدورنا بشريعة الإسلام، وأسبغ علينا نعمه العظام ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خير الأنام، الذي بين لنا الحلال والحرام، وعلى آله وصحبه ومن على طريقهم استقام، أما بعد:

فإن الله تعالى حفظ هذه الشريعة الغراءَ، وسخر من أهل العلم والفضل من يخدمها ويظهرها وينشر تعاليمها، ويجلِّي محاسنها، ويغوص في أسرارها وحكَمها، ويذب عنها، ومن هؤلاء العلماء- : الإمام أبي جعفر بن نصر الداودي - رحمه الله تعالى -.

وقد كان عالم شامل ملما بشتى أنواع العلوم كالفقه والحديث والتفسير...، وهذا الشمول هو الذي حمل العلماء الأقدمين[1] والباحثين المعاصرين على

[1] نقل صاحب المعيار المعرب مجموعة من آراء الداودي، وكذا الشاطبي في الموافقات وغيرهم من علماء المالكية.

الاهتمام بعلومه وآرائه في فنون شتى، ولهذا أجريت دراسا ت وبحوث[2]، مطولة متنوعة حول شخصية الداودي - رحمه الله – وآثاره وآرائه العلمية، لكنه بصريح العبارة لم يأخذ تراثه قسطه من العناية الكافية لدى الباحثين رغمه ان ما خلفه يعتبر ثروة علمية كبيرة.

ومن هذا المنطلق جاء اختيار هذا موضوع والذي بعنوان: **" الجهود العلمية والفكرية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني في خدمة المذهب المالكي."**.

ويأتي هذا البحث الذي يُراد منه التعرف على هذا العلَم الذي كان له الأثر كبير في خدمة المذهب المالكي والذي لم يعطى حقه الوافي من البحث والدراسة من طرف الباحثين.

أولاً: إشكالية البحث

تتركز إشكالية البحث في الإجابة على سؤال جوهري مركب من جزئين وهو:

ماهي أبرز الجهود العلمية والفكرية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني وكيف ساهمت هذه الجهود في خدمة المذهب المالكي؟.

ثانيًا: أهداف البحث

يمكن أن نُعدد أهداف البحث في كونها محاولة لإبراز مكانة الإمام الداودي - رحمه الله - في هذا العلم الجليل، والإسهام في إحياء جانب من تراثه العلمي الضخم، وذلك من خلال الوقوف على أهم جهوده العلمية.

ثالثًا: المنهج المتبع

تعتمد الدراسة على المناهج الآتية:

---

[2] في كتب ، أو رسائل وبحو ث علمية ، أو مقالات قصيرة ، ومن هذه الدراسات رسالة ماجستير التي أعدها محمد ذياب (الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي دراسة تحليلية لكتاب الأموال)، حاول فيها دراسة آرائه الاقتصادية.

1- المنهج الوصفي: ويتجسد ذلك في جمع المعلومات التي لها علاقة بحياة الإمام أبي جعفر بن نصر الداودي.

2- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء وتتبع بعض أقوال ومسائل واجتهادات الإمام أبي جعفر بن نصر الداودي، سواء في كانت في مؤلفاته أوتناقلها غيره عنه.

رابعًا: خطة البحث

اقتضت هذه الدراسة أن نقسمها إلى ثلاثة مطالب ومقدمة وخاتمة فضلا عن المستخلص باللغة العربية والانجليزية وجاءت كالآتي:

- **المطلب الأول** : الإمام الداودي عصره وحياته العلمية.
- **المطلب الثاني**: تأثر العلماء والمحققين القدامى بجهوده.
- **المطلب الثالث**: جهود الإمام الداودي في خدمة المذهب المالكي.
- **الخاتمة:** وفيها يتم عرض أهم نتائج الدراسة.

المطلب الأول: الإمام الداودي عصره وحياته العلمية

نحاول في هذا المطلب أن نعرض أهم مميزات عصر الداودي السياسية والدينية والاجتماعية التي نشأ فيها، الإضافة إلى ابراز أهم مراحل حياته العلمية.

وقد قسمنا المطلب إلى فرعين كالآتي:

الفرع الأول: الإمام الداودي وعصره

يظم هذا الفرع ترجمة موجزة الامام الداودي، وكذا أهم مميزات الحياة التي نشأ فيها ونعني بذلك أهم الظروف السائدة آن ذاك.

أولًا: ترجمة للإمام الداودي

1- **اسمه ونسبه:** هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي من أئمة المالكية بالمغرب والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة.[3]

كان بطرابلس المغرب، فأملي بها كتابه في شرح " الموطأ "، ثم نزل تلمسان، وكان ذا حظ من الفصاحة والجدل، وله: " الإيضاح في الرد على البكرية ". حمل عنه، أبو عبد الملك البرقي، وأبو بكر ابن الشيخ، ومات بتلمسان.[4]

وكان فقيهاً فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً له حظ من اللسان والحديث والنظر، وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه.[5]

2- **مولده ونشأته:** لم اعثر في جميع المصادر التي ترجمت للدادوي عن سنة ولادته، إلا أنها أشارت إلى أنه ولد بمدينة المسيلة وقيل ولد بمدينة بسكرة وبالتحديد في مدينة باليانة، وهما مدينتان تقعان في الشرق الجزائري، وكل ما نقلته لنا عن نشأته انه كعادة أترابه ولداته في ذلك الوقت حفظ القرآن الكريم و درس علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة، ثم دراسة بعض مختصرات كتب الفقه المالكي، كما هو متعارف عليه عند مدرسي تلك العصور، ولم تذكر أي شئ عن اسرته أو مجتمعه، ثم تجدها تنقل لنا سفره لسبب غير معروف – لعله طلب العلم – الى طرابلس الغرب، حيث سكن واستوطن بها.

إضافة إلى هذا كإعترافا بنسبه الى إليانة ما جاء عن الشاعر الناشئ شارف عامر في إلياذة بسكرة المشهورة البيت التالي :

واليانة السكرى مرابع نخبة *** عدد هنا الثوار والعلماء

والداودي يصوغ زبده فكره *** بتواضع وصديقه استحياء.[6]

---

[3] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرون، 102/7.

[4] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذَهَبي، ت: بشار عوّاد معروف، 41/9.

[5] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، ت: محمد الأحمدي أبو النور، 166/1.

وقد يخلط البعض بينه وبين أحمد أبو جعفر بن نصر بن زياد الهواري، وقد نبه إلى هذا التشابه ابن فرحون أثناء ترجمته للثاني أي أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري، حيث قال:" ...وفي المالكيين من يشتبه به وهو أحمد بن نصر الداودي متأخر يأتي ذكره."[7]

ثانيًا: عصره، وظروف نشأته

تزامن ميلاد الإمام الداودي وظرف نشأته مع وجود حكم الدولة الفاطفية لمنطقة المغرب الإسلامي، والمتأمل لكتابة الأموال يجده جاء كرد للسياسة الاقتصادية التي انتهجها حكام الدولة الفاطمية آن ذاك والتي كان فيها تجاوزات شرعية في طرق التصرف بالمال العام على أيدي حكام تلك الدولة.

ولم تشر المصادر إلى ظروف النشأة، وذلك للتباعد الزمني بين أول من ترجم له - وهو القاضي عياض – وبين حياة الداودي، وقد ولد عياض سنة 476هـ، وقد تكون بداية النشأة للداودي مع مستهل النصف الثاني من القرن الرابع، ولا تسعفنا المصادر بتفاصيل عن حياته الأولى، إلا أن سماع ابن ميمون من أهل

[6] ينظر: أنطولوديا علماء ليانــة، من مقال أخذته من الشبكة العنكبوتية يوم2019/06/14، على الساعة:19:47، رابط الموضوع على الشبكة العنكبوتية: http://liana-dz.blogspot.com/2015/12/blog-post_98.html

[7] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصدر سابق، 159/1.

طليطلة* (ولد سنة 353هـ). من أبي جعفر الداودي بالمسيلة، قد يكون إشارة وقرينة على اشتغال الداودي بالعلم في مرحلة مبكرة من حياته.[8]

ثالثًا: تلاميذه:

وقد جالسه وروى عنه خلق كثير من الطلبة من جميع الأقطار، وكان يملي مؤلفاته ويشرحها في مجال التدريس، وقد أجاز بها الكثير من علماء عصره، واستفاد من علمه فقهاء مشهورون، نذكر منهم:[9]

1- **أبو عبد الملك البوني(ت: قبل440هـ):** واسمه مروان بن علي القطان. أندلسي الأصل. سكن بونة[10] من بلاد إفريقية. وكان من الفقهاء المتفننين. وألّف في شرح الموطأ، كتاباً مشهوراً حسناً، رواه عنه الناس، وتفقه بأحمد بن نصر الداودي. روى عنه حاتم الطرابلسي وأبو عمر ابن الحذاء. قال حاتم: كان رجلاً

---

* طُلَيْطُلَةُ: هكذا ضبطه الحميدي بضم الطاءين وفتح اللامين، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتّصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 39/4.

[8] آراء الإمام الداودي في باب المعاملات من خلال المعيار المعرب من خلال المعيار المعرب[جمع ودراسة]

[9] ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مصدر سابق، 103/7، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 41/9، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصدر سابق، 166/1.

[10] بُونَةُ: بالضم ثم السكون: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغنّاي، وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرّخص والفواكه والبساتين القرينة، وأكثر فاكهتها من باديتها، وبها معدن حديد، وهي على البحر، ينسب إليها جماعة، منهم: أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني. ينظر: معجم البلدان، مصدر سابق، 512/1. وتدعى عنابة حاليًا.

فاضلاً حافظاً، نافذاً في الفقه والحديث. أصله من قرطبة. سمع معنا وكتب عنه تفسير الموطأ من تأليفه. ولازم الداودي وغيره.[11]

2- **أبو بكر ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني(ت: بعد سنة 460هـ):** القاضي أبو بكر أحمد بن أبي عمر بن أبي زيد: الفقيه الإمام الفاضل العارف بالأحكام والنوازل القاضي العادل، روى التهذيب عن مؤلفه البرادعي وكان البرادعي يثني عليه كثيراً، أخذ عن أبي جعفر الداودي وغيره.

3- **أبو حفص عمر بن أبي عمر بن أبي محمد بن أبي زيد(ت: 460هـ):** الفقيه المحدث الفاضل، شارك أخاه القاضي أبا بكر في شيوخه. وله ابن اسمه عبد الرحمن كان عالماً فاضلاً.[12]

4- **أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري(463هـ):** قال أبو القاسم بن بشكوال: ابن عبد البر إمام عصره، وواحد دهره، يكنى أبا عمر، روى بقرطبة عن: خلف بن القاسم، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأبي محمد بن عبد المؤمن، وأبي محمد بن أسد، وجماعة يطول ذكرهم. وكتب إليه من المشرق السقطي، والحافظ عبد الغني، وابن سيبخت، **وأحمد بن نصر الداوودي**، وأبو ذر الهروي، وأبو محمد بن النحاس.[13]

وفاته: توفي بتلمسان سنة 440 هـ/1048م، وقبره عند باب العقبة*.[14]

---

[11] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مصدر سابق، 259/7.

[12] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمَّد مَخْلُوف، 172/1.

[13] سير أعلام النبلاء، الذهبي، 359/13.

* مدينة تلمسان: لها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة، ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، ص135.

الفرع الثاني: مؤلفاته

من الكتب التي أثبت المحققون صحة نسبتها للإمام الداودي نجد: النامي في شرح الموطأ والواعي في الفقه والنصحية في شرح البخاري والإيضاح في الرد على القدرية وغير ذلك.[15]

الفرع الثالث: انكاره لمعاصرة علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد

وعد القاضي عياض ذلك عيبا وغمزا فقال:

"بلغني أنه كان ينكر على معاصره من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاءهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك فأجابوه :"اسكت لا شيخ لك"... يشيرون أنه لو كان له من يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقائهم، مع من هناك من عامة المسلمين، تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنه لو خرج العلماء من إفريقية لما بقي فيها من العامة آلاف آلاف، فرجحوا خير الشرين".[16]

المطلب الثاني: تأثر العلماء والمحققين بجهوده

سنتناول في هذا المطلب عرض أهم العلماء القدمى الذين تأثروا بجهود الإمام الداودي في شتى الفنون كالتفسير والفقه وشروح الحديث، سواء كان ذلك

---

[14] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مصدر سابق، 164/1، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصدر سابق، 166/1.

[15] ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مصدر سابق، 103/7، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مصدر سابق، 166/1، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مصدر سابق، 41/9، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص141.

[16] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مصدر سابق، 103/7.

مشافهةً أو سماعًا أو تناقلوه عبر مؤلفاتهم، وقد قسمنا هذا المطلب إلى ثلاث فروع وقد جاءت كالآتي.

الفرع الأول: تأثر أهل التفسير به: ونعني بذلك أن أهل التفسير قاموا بعرض آراء الإمام الداوي في تفسيرهم لبعض النصوص والآيات القرآنية، متخذين من تفسيره وآراءه الفقهية مرجعا لهم، وخاصة في تفسيرهم لآيات الأحكام ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر نجد:

1- **الإمام شمس الدين القرطبي(ت:671هـ)**: من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، فكان يستأنس بقول الإمام الداودي وآرائه، ومثال ذلك في تفسير قوله تعالى:ﱡ□ □ □ □ □ﱠ[الشورى:42]، وذلك عند الكلام على بعض تصرفات السلطان المالية، قال: "واختلف علماؤنا في السلطان يضع على أهل بلد مالا معلوما بأخذهم به ويؤدونه على قدر أموالهم، هل لمن قدر على الخلاص من ذلك أن يفعل، وهو إذا تخلص أخذ سائر أهل البلد بتمام ما جعل عليهم. فقيل لا، وهو قول سحنون من علمائنا. وقيل: نعم، له ذلك إن قدر على الخلاص، وإليه ذهب **أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي ثم المالكي**. قال: ويدل عليه قول مالك في الساعي يأخذ من غنم أحد الخلطاء شاة وليس في جميعها نصاب إنها مظلمة على من أخذت له لا يرجع على أصحابه بشيء. قال: ولست آخذ بما روي عن سحنون، لأن الظلم لا أسوة فيه، ولا يلزم أحد أن يولج نفسه في ظلم مخافة أن يضاعف الظلم على غيره، والله سبحانه يقول:" إنما السبيل على الذين يظلمون الناس".[17]

2- **ابن عادل(775هـ)**: من خلال تفسيره اللباب في علوم الكتاب في تفسيره لقوله تعالى:ﱡ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﱠ[الحشر:07].

[17] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وآخرون، + 42/16، 43/16، 15/18.

قال: "قال **أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي**: وهذا القول ما سبقه به أحد علمناه، بل كان ذلك خالصاً له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبيناً للآية، ولو كان هذا لكان قوله:ﱡ ﱠ[الأعراف: 32] يجوز أن يشركهم فيها غيرهم".[18]

3- **أبوزيد الثعالبي(875هـ)**: من خلال تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ويعتبر أكثر من تأثر بتفسير الداودي، فكان في كثير من الأحيان عندما يفسر الآية يعرض بعدها أقوال بعض المفسرين من بينهم الإمام الداودي، ومثال ذلك في تفسيره لقوله تعالى: **أُّخ لم لى لي** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ **نم نى** □ □ □ □ □ □ □ ﱠ[البقرة:58].

قال: "قال **أحمد بن نصرٍ الدَّاوُودِيُّ** في تفسيره: «وروي أن النبيّ ﷺ سار مع أصحابه في سفر، فقال: قولوا: نستغفر الله، ونتوب إليه، فقالوا ذلك، فقال: والله، إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها»".

وكذلك في تفسير قوله تعالى:ﱡ**خ لم لى لي** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ[البقرة: 89]. قال: "ويستفتحون: معناه يستنصرون، قال: **أحمد بن نصر الداودي**: ومنه: أُّ□ **بر** □ □ **بن**ﱠ[المائدة:52]، أي: بالنصر."[19]

4- **جمال الدين القاسمي(1332هـ)**: وذلك من خلال كتابه محاسن التأويل، عند ذكره فصل عنونه ب: في عقد مجلس مناظرة بين مقلد وبين صاحب حجة منقاد للحق حيث كان.

فمن خلال تفسير قوله تعالى: أُّ□ □ □ □ □ **لج لح لخ لم له...**ﱠ [النساء:59].

---

[18] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، 578/18.

[19] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبوزيد الثعالبي، ت: محمد علي معوض وآخرون، 274/1، 278/1.

قال: "قال **الداوديّ** (شارح الصحيح): هذا وهم على ابن عباس. فإن عبد الله بن حذافة خرج على جيش فغضب عليهم. فأمرهم أن يوقدوا نارا ويقتحموها. فامتنع بعض وهم بعض أن يفعل.

قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره؟ وإن كانت نزلت بعد فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم: لم لم تطيعوه؟ انتهى".[20]

الفرع الثاني: تأثر شراح الحديث به: ونعني بذلك أن أهل الحديث قاموا بعرض آراء الإمام الداوي في شروحهم لبعض النصوص الحديثية، متخذين من شرح الغمام الداودي للموطأ ولصحيح البخاري، وكذا وآراءه الفقهية مرجعا لهم، ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر نجد:

1- **ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ):** في كتابه شرح صحيح البخارى، وذلك في باب إمامة المفتون والمبتدع.

قال: والقول الثانى: قال **أبو جعفر الداودى**: معنى قوله: (يصلى لنا إمام فتنة) ، أن غير إمامهم يصلى لهم فى حين فتنة، ليس أن ذلك الإمام يدعو إلى فتنة ويسعى فيها ويدل على ذلك قول عثمان: (الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم) ، ولم يذكر الذى أمهم بمكروه..."

وكذلك مانقله عنه في باب مسجد قباء: قال: قال **أبو جعفر الداودى**: إتيان النبى ﷺ مسجد قباء يدل أن ما قرب من المساجد الفاضلة التى فى المصر لا بأس أن يؤتى ماشيا وراكبا، ولا يكون فيه ما نهى أن تعمل المطى."[21]

---

[20] محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، 192/3.

[21] ينظر: شرح صحيح البخارى، ابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، 324/2، 182/3.

2- **أبو الوليد الباجي (ت: 474هـ):** في كتابه المنتقى شرح الموطإ، وذلك في عدة أبواب نذكر منها: باب آخذ الصدقة ومن يجوز له أخذها.

قال: "وقال **أبو جعفر الداودي** اختلف قول مالك في الغارم فمرة قال يعطى إذا كان محتاجا ومرة يشير إلى أن للغارم أن لا يأخذ ما أعطي، وإن كان بيده كفاف دينه وأكثر منه ولا يفصح".

وما نقله عنه في باب ما جاء في قتل الحيات وما يقال في ذلك.

قال: "وقال **أبو جعفر الداودي** هذا الذي ذكره ابن حبيب إن كان سلم من الغلط وثبت فقد يكون ذلك من مالك في وقت حرج اضطره لشيء ذكر له عنه مما أنكره فضاق به صدره فقال ذلك، والعالم قد يحضره ضيق صدر فيتقول ما يستغفر الله عنه بعد وقت إذا زال غضبه".[22]

3- **القاضي عياض(ت: 544هـ):** في كتابه إكمال المُعْلِمِ بفوائد مسلم باب بيع البعير واستثناء ركوبه.

قال: "قال **أبو جعفر الداودى**: ليس أوقية الذهب وزن يحفظ، وأما أوقية الفضة فأربعون درهما."

وكذلك في باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى: " لا هجرة بعد الفتح ". قال: "قال **أبو جعفر الداودى**: الهجرة التى سأل عنها الأعرابى النبى صلى الله عليه وسلم هو لزوم المدينة مع النبى صلى الله عليه وسلم، ومفارقة أهله وداره..."[23]

الفرع الثالث: تأثر الأصوليين وعلماء المقاصد به

تأثر بعالمنا الداودي ثلة من الأصوليين، كما دلت عليه النقول عنه في مصنفاتهم، والاستشهاد بآرائه فيها، وهذه نماذج شاهدة على ذلك:

---

[22] المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد الباجي، 154/2، 300/7.

[23] إكمال المعْلِمِ بفوائد مسلم، القاضي عياض، ت: يحيى إسماعيل، 294/5، 276/6.

1- **أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ):** وذلك من خلال كتابه الفروق في عدة مواضع منها على سبيل المثال: عند ذكر المسألة الرابعة: للإمام أن يوقف وقفا على جهة من الجهات.

فعندما وصل إلى الحديث عن الفرق الثامن عشر والمائة بين قاعدة ما يوجب نقض الجزية وبين قاعدة ما لا يوجب نقضها قال: "وقال الداودي إن كان خروجهم من ظلم فهو نقض لأنهم لم يعاهدوا على أن يظلموا من ظلمهم".[24]

2- **إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ):** وذلك من خلال كتابه الموافقات، فقد اسم الداودي أكثر من موضع، فعند حديثه في القسم الأول وهو خطاب التكليف في المسألة الأولى وهي مسألة المباح قال: "والثاني من الأمور العارضة: أن ما تقدم مخالف لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء المتقين؛ فإنهم تورعوا عن المباحات كثيرا، وذلك منقول عنهم تواترا؛ كترك الترفه في المطعم، والمشرب، والمركب، والمسكن، وأعرقهم في ذلك عمر بن الخطاب، وأبو ذر، وسلمان، وأبو عبيدة بن الجراح، وعلي بن أبي طالب، وعمار، وغيرهم -رضي الله عنهم- وانظر إلى ما حكاه ابن حبيب في كتاب "الجهاد"، وكذلك **الداودي في كتاب "الأموال"**؛ ففيه الشفاء، ومحصوله أنهم تركوا المباح من حيث هو مباح، ولو كان ترك المباح غير طاعة؛ لما فعلوه."[25]

3- **محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني(ت: 1250هـ):** وذلك من خلال كتابه إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، فعند حديثه عن دلالة الاقتران قال:

---

[24] ينظر: الفروق، القرافي، 11/3، 13/3.

[25] ينظر: الموافقات، الشاطبي، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، 184/1.

"وقد قال بها جماعة من أهل العلم، فمن الحنفية أبو يوسف، ومن الشافعية المزني، وابن أبي هريرة، وحكى ذلك الباجي عن بعض المالكية، قال: ورأيت **ابن نصر** يستعملها كثيرا".[26]

4- **أحمد بن يحيى الونشريسي(ت: 914هـ):** وذلك من خلال كتابه إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، وذلك في عدة قواعد منها على سبيل المثال: قاعدة السابعة والثلاثون:

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، عند حديثه عن الغسلة الثالثة إن شك فيها، وصوم يوم عرفة إن شك فيه هل هو العيد أم لا وغيرهما من الأمثلة. فقال: "كُرهت الغسلة الثالثة إن شك فيها، وصوم يوم عرفة إن شك فيه هل هو العيد أم لا، ورُجح المكروه على المندوب، كإعطاء فقير من القرابة لا تلزمه نفقته وليس في عياله من الزكاة... ونُهي عن إفراد يوم الجمعة بالصوم لئلا يُعظم تعظيم أهل الكتاب للسبت، وأجازه مالك. قال الداودي لم يبلغه الحديث...".[27]

المطلب الثالث: جهود الإمام الداودي في خدمة المذهب المالكي:

سنحاول في هذا المطلب تناول أهم جهود الإمام الداودي في خدمة المذهب المالكي، وقد قسمناه إلى ثلاثة فروع جاءت كالآتي:

الفرع الأول: الإمام الداودي وخدمته للمذهب المالكي من خلال الإفتاء

كانت أغلب مسائل وفتوى الإمام أبو جعفر بن نصر الداودي مبثوثة ومتناقلة عبر الكثير من المؤلفات التي حافظت عليها، ولعل من أبرز العلماء الذين جمعوا لنا آراء الإمام الداودي وفتاويه نجد الإمام الونشريسي في موسوعته الضخمة

---

[26] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، ت: أحمد عزو عناية، 197/2.

[27] إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، الوَنْشَرِيسي، ت: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، ص89،90.

الموسومة **بالمعيار المعرب**، واعتمد في نقل آراء الداودي وفتاويه على كتابين مهمين هما:[28]

1- نوازل البرزلي: لأبي القاسم بن أحمد القيرواني (ت: 841 ه).

2- الدرة المكنونة في نوازل مازونة، ليحي بن أبي عمران المغيلي قاضي بلدة مازونة (ت:883ه).

بالإضافة إلى هذين الكتابين نجد كذلك من أهم الكتب المالكية التي حفظت آراءه وفتاويه نذكر على سبيل المثال منها:

- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض وولده.
- الدرة المكنونة في نوازل مازونة ليحي بن أبي عمران المغيلي.
- فتاوى البرزلي أوجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام لأبي القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي.

الفرع الثاني: الإمام الداودي وخدمته للمذهب من خلال التأليف

ترك الإمام الداودي مؤلفات عدة، منها ما فقد[29] ومنها مابقي مخطوطا والقليل منها حقق، وستناول في هذا الفرع بعض مؤلفاته على شكل نقاط، فمن بين مؤلفاته نجد:

1- **كتاب تفسير الموطأ، وسمّاه: الكتاب النامي:** وهو مخطوط بخزانة القرويين تحت رقم (175)نسخة واحدة مبتورة الأول والآخر مكتوبة بخط

[28] ينظر: آراء الإمام الداودي في باب المعاملات من خلال المعيار المعرب [جمع ودراسة]، حميم عمران، ص18.

[29] ينظر: الأموال، الداودي، ت: رضا محمد سالم شحادة، ص34.

أندلسي جميل لا يوجد فيها تاريخ تدوينها ولا اسم ناسخها وهي عتيقة جدا وتصعب الاستفتادة منها.[30]

وقد أثبت نسبتها ابن خير الإشبيلي للداودي حيث قال: "وحدثني به أيضا أبو محمد بن عتّاب، إجازة قال: حدثني به أبو عمر بن عبد البر، رحمه الله، إجازة، قال: حدثني به **أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاوودي**، إجازة منه لي في جميع ما رواه وألّفه، رحمه الله."[31]

وقد كان من أوائل ما ألفه وأملاه عندما كان بطرابلس الغرب، كما لقي هذا الشرح القبول بين أهل التفسير في ذلك العصر، ونهلوا منه الكثير.

2- **كتاب النصيحة[32] في شرح البخاري:** وهذا الشرح غير مطبوع، ولا يعرف عنه شيء، ذكره غير واحد كالسخاوي في "الجواهر والدرر" وقال: وهو ممن ينقل عنه ابن التين وغيره. وحاجي خليفة في "كشف الظنون" وعد كتابه هذا بمثابة التتميم لشرح الخطابي، وكذا ذكره كحالة في "معجم المؤلفين".

يبدو أنه من الشروح النفيسة؛ فلقد أكثر المصنف- أي: ابن الملقن رحمه الله- النقل عنه في مواضع شتى، وكذا الحافظ في "الفتح" وغير شارح.[33]

قال ابن حَجَر العسقلاني:" كتاب شرح الموطأ وكتاب شرح البخاري كلاهما تأليف أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني.

---

[30] ينظر: الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر بن نصر الداودي–دراسة وتحليل لكتاب الأموال، محمد ذياب، ص23.

[31] فهرسة ابن خير الإشبيلي، ابن خير الإشبيلي، ت: محمد فؤاد منصور، ص139.

[32] المعْلم بفوائد مسلم، المازَري، ت: محمد الشاذلي النيفر، 507/2.

[33] ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن المُلَقِّن، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 103/1.

أنبأنا بهما أبو علي الفاضلي عن أحمد بن أبي طالب عن جعفر بن علي عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي عن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عن يوسف بن عبد الله النمري عنه إجازة."[34]

قال ابن خَيْر الإشبيلي أيضًا: "تواليف أحمد بن نصر الدّاودي وجميع رواياته عن شيوخه حدثني بها أبو محمد بن عتّاب، وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث، رحمهما الله كلاهما عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمد ابن الحذّاء، عن أبي عبد الملك مروان بن عليّ القطّان البوني، عنه."[35]

وقد اعتمد في شرحه هذا على أقوال وآراء المالكية في الغالب.

3- **كتاب الأموال:** ذكر محقق الكتاب رضا محمد سالم شحادة بعض المصادر المخطوطة التي نسبة الكتاب إلى مؤلفه الداودي وهي[36]:

- "الإعلام بما في ابن الحاجب من الأسماء والأعلام" لعز الدين بن محمد بن عبد السلام بن إسحاق الأموي من علماء القرن الثامن الهجري، مخطوط بالأسكوريال.
- "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب" لابن أبي صعد التلمساني.
- "الإحكام لمسائل الأحكام" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزناتي، مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط.

والمتمرس في المالية الإسلامية يجد أن كتاب الأموال من أحسن ما صنف في الفقه والاقتصاد الإسلامي، وهو مطبوع محقق وجيد في بابه عالج فيه الداودي المشكلات الاقتصادية في عصره بما يقتضيه النظام المالي الإسلامي.

الفرع الثالث: الإمام الداودي وخدمته للمذهب من خلال التدريس

---

[34] المعجم المفهرس، ابن حجر، ت: محمد شكور الميادني، ص398.

[35] فهرسة ابن خير الإشبيلي، مرجع سابق، ص391.

[36] ينظر: الأموال، مصدر سابق، ص59.

عاش الداودي حياته العلمية في طرابلس بالغرب، يُعلم ويفتي، ويؤلف، ويناظر. وقد ألف كتاب النامي في شرح الموطأ، ومكث مدة طويلة وطلاب العلم من الغرب الإسلامي والأندلس يتوافدون عليه ليتحملوا عنه العلم والمؤلفات، ففي عصره أصبح لزامًا عليه، توضيح ما أُبهم، وشرح ما فُهم خطأ، خاصة بعد حدوث الفتن والاضطرابات الدينية في عهد الدولة الفاطمية، والتي أدت إلى التشتت والبلبلة بين عامة الناس.

وكان همه نصرة السنة النبوية وإحياؤها، وإحياء مذهب مالك، والدفاع عن مذهب اهل السنة والجماعة في ذلك الزمان والمكان.[37]

الخاتـمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

فقد تناول هذا البحث دراسة لجهود للإمام أبي جعفر بن نصر الداودي في خدمة المذهب المالكي، وذلك من خلال التعريف به، والتعرف على أهم مؤلفاته، وكيف تأثر العلماء القدامى بشتى علومه، وفي الأخير تم التعرف على مظاهر خدمة الإمام أبي جعفر بن نصر الداودي في خدمة المذهب المالكي.

وقد توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نذكر منها:

[37] ينظر: ، المصدر نفسه، ص44، 46.

أولاً: نتائج الدراسة

تحصي هذه الدراسة النتائج الآتية:

1- نشأ الإمام الداودي نشأةً علمية استطاع من خلالها بلوغَ درجة المجتهدين، حتى فاق علماء زمانه، وذلك جعله يعملُ مِن أجل خدمة المذهب المالكي.

2- إن العلم الغزير الذي امتلكه الإمام الداودي في تلك الحقبة، مكنته من الذبَّ عن المذهب، وخدمته خدمة جليلة من خلال التدريس والتأليف. كما كان له دور في ترسيخ المذهب المالكي في المنطقة .

3- كان لتواجد الداودي دور كبير في نشر المذهب المالكي في إفريقية (المغرب، تلمسان) وفي كثير من البلدان الإسلامية.

ثانيًا: توصيات البحث

تتلخص فيما يأتي:

1- تكريس طلبة العلم والباحثين سواء كانوا علماء أو أكاديميين جهودهم في احياء تراث هذا الإمام الذي يعد أحد أعمد الفقه المالكي في افريقيا والعام.

2- الاجتهاد في البحث على ما فقد من مؤلفات هذا العالم واخراجها للنور من خلال التحقيق العلمي المنظم.

فهرس المصادروالمراجع.

- القرآن.

1. الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ت: محمد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، 1419هـ/1998م.

2. أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، الأموال، ت: رضا محمد سالم شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

3. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل ت: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلميه – بيروت، 1418ه.

4. ابن حجر، المعجم المفهرس، ت: محمد شكور الميادیني، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1418ه-1998م.

5. حميم عمران، آراء الإمام الداودي في باب المعاملات من خلال المعيار المعرب من خلال المعيار المعرب[جمع ودراسة]، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفقه والأصول، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم قسم الشريعة – فرع الفقه والأصول-، جامعة جامعة الحاج لخضر – باتنة-2009-2010.

6. الذَهَبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، دار الغرب الإسلامي، لا.م، 2003م.

7. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، لا.م، 1405 ه / 1985 م.

8. أبوزيد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: محمد علي معوض وآخرون، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418ه.

9. الشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417ه/ 1997م.

10. الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول،، ت: أحمد عزو عناية، ط1، دار الكتاب العربي، لا.م، 1419ه- 1999م.

11. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائِر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، 1400 ه- 1980 م.

12. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ط1، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1419 ه-1998م.

13. ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان

عباس، ط2، دار السراج، بيروت، 1980م.
14. ابن فرحون، الديباج المذهب، ت: محمد الأحمدي أبو النور، لا.ط، دار التراث، د.ت.
15. أبي القاسم بن أحمد القيرواني المدعو البُرزُلي، نوازل البرزلي، ت: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.
16. القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، ت: محمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
17. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرون، ط1، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، 1965م.
18. القرافي، الفروق، لا.ط، عالم الكتب، د.ت.
19. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وآخرون، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ - 1964 م.
20. المازري، المُعْلم بفوائد مسلم، ت: محمد الشاذلي النيفر، ط2، الدار التونسية للنشر،1988م
21. محمَّد مَخْلُوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424 هـ - 2003 م.
22. محمد ذياب، الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر بن نصر الداودي-دراسة وتحليل لكتاب الأموال، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم قسم الشريعة، جامعة جامعة الحاج لخضر – باتنة-2006م-2007م.
23. ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر، دمشق – سوريا، 1429 هـ - 2008 م.
24. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.
25. يحي بن أبي عمران المغيلي، الدرة المكنونة في نوازل مازونة، ت: بركات

اسماعيل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري - قسنطينة- 2009-2010.